

الكتابة الشعرية النسوية الجزائرية

Female Poetic Writing algerian

د- بوجلخة فضيلة¹*

1جامعة الوادي الجزائر boudjelkha_fadhila@univ_eloued.dz

تاريخ النشر: 2023/10/10

تاريخ المراجعة: 2023/07/07

تاريخ الإيداع: 2022/12/10

ملخص:

ولجت المرأة الجزائرية عالم الكتابة الشعرية، وأطلقت العنان لقلمها حتى يعالج مختلف القضايا ، ففكت أزمة الانغلاق على أدبها، وأصبحت تكتب وتشر وتعرّب عن ذوقها وأفكارها. وتبغى المرأة من الكتابة الشعرية التمرد والثورة من أجل التحرر من الآخر، واستعادة الذات الأنثوية والهوية المغيبة، فعبّرت عن هواجسها وأفكارها بكل حرية وانطلاقة معتمدة على طريقة اللعب باللغة وانزياحاتها، لتبين حقها في الإبداع ودورها في تحسين الأداء الشعري .

إن البحث عن الهوية في الشعر النسائي الجزائري المعاصر هو سؤال عن الهوية الجماعية لعالم المرأة، إنه الوعي بالكتابة والوعي بالأنوثة، وركزت الشاعرة الجزائرية في كتابتها على الجسد الذي يعد شكلا لحضور الذات، فهو المعبر الصادق عن نفسيّتها، وقد كان مغيبا ومحشورا في منطقة المسكوت عنه، والهدف من ذلك هو التحرر من الآخر ، والتعبير بكل حرية عن آرائها وأفكارها والدفاع عن نفسها، فتحدد بذلك هويتها وتفك الحجب عن جسدها.

الكلمات المفتاحية: الكتابة النسوية، الشعر النسوي الجزائري، السلطة الذكورية، التحرر.

Abstract

Algerian women joined the world of poetic writing, and unleashed their pen to deal with various issues, so they dismantled the crisis of closure on their literature, and started writing, publishing, and expressing their taste and ideas. Woman's poetic writing aims at showing rebellion and revolution in order to be liberated from the other and to restore the feminine self and absent identity, so she expressed her concerns and thoughts freely relying on the method of playing with language and its displacements, to show her right to creativity and her role in improving poetic performance. The search for identity in contemporary Algerian women's poetry is a question about the collective identity of the world of women. It is the awareness of writing and the awareness of femininity. The Algerian female poet focused in her writing on the body, which is a form of the presence of the self, as it is the true expression of her psyche, and it was absent and crammed into the unspoken area. The aim is to be free from the other, to freely express her opinions and ideas, and to defend herself, thus defining her identity and removing the veil from her body..

Key words:, Female Writing, Algerian Feminine Poetry, Male Power, Emancipation.

* المؤلف المراسل.

تقديم:

لقد لعبت المرأة الجزائرية دورا كبيرا في الحياة اليومية للمجتمع، مما منحها القوة والعزيمة لولوج عالم الكتابة الشعرية، الذي تعرض فيه انشغالاتها وآمالها وهواجسها، بحيث يتميز عملها بالخصوصية عن الكتابة الذكورية.

.بواكير الكتابة الشعرية النسوية الجزائرية:

يصعب الجزم بوجود قصائد شعرية نسائية قبل الاستقلال، فحضور المرأة في مسرح الكتابة يعد حضورا باهتا بسبب هيمنة الجو المحافظ الذي يستنكر وجود المرأة في النص الأدبي، ورغم ذلك حمل مجموعة من الشباب المثقف على عاتقهم إخراج المرأة من الوضع الثقافي المزري تحت اسم جمعية(الشباب الجزائريين لتثقيف المرأة المسلمة) دعوا فيها إلى تعليم المرأة المسلمة الجزائرية تعليما نافعا، وكانت بعض الصحف والمجلات الجزائرية التي تصدر خلال الفترة الاستعمارية قد دعت إلى توعية المرأة في ظل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي كافحت من أجل تعليم المرأة وتثقيفها وتنشيطها، ونشرت في مجلة (البصائر) التابعة للجمعية أعمال لمثقفات مغمورات، منها مليكة بن عامر وهي كاتبة من قسنطينة، كما نشرت مرثية جميلة للزهرة الذابلة عابدة خير الدين بعنوان (رسالة إلى روح فتاة).

ويمكن أن نقول أن الشعر النسوي الجزائري بصفة عامة كان خجولا في إطلالته على الساحة الأدبية قبل الاستقلال، وذلك يعود لأسباب منها:

1. العامل الاستعماري الذي انتهج سياسة مناهضة للغة العربية، مما أدى إلى شل حركة وفاعلية الثقافة القومية، ونتج عنه تأخر ظهور الحركة الأدبية النسائية في الجزائر، نتيجة الحصار المفروض على الثقافة واللغة العربية.

2- عامل التقاليد الاجتماعية التي كانت تنظر إلى المرأة نظرة دونية، تنطوي على كثير من الاحتقار، وترى أن حضورها في الساحة الأدبية والثقافية يثير الفتنة و يشجع على الانحلال، مما كبلها وفرض عليها ظروف العزلة، وتجميد طاقاتها الإبداعية .

3- قلة الصحف المتخصصة، وقيود الرقابة الاستعمارية على الأعمال الثقافية والأدبية، ساهم في تأخر ظهور الحركة الأدبية في الجزائر، والنسائية بصفة خاصة¹.

إن الظروف التي عاشتها الجزائر في بداية الاستقلال حالت دون الاهتمام بالأعمال الأدبية بصفة عامة، حيث توجه كثير من المسؤولين والكتاب إلى بناء الجزائر، مما نتج عنه ضعف الأعمال الأدبية والنسوية بصفة خاصة، وبقي اسم مبروكة بوساحة متفردا في الأعمال الشعرية النسوية الجزائرية، حيث كانت أول من اخترق صمت الأنثى المعربة لتخوض في مجال الكتابة الشعرية النسائية².

يعتبر ديوان (براعم) للشاعرة مبروكة بوساحة في الستينات بداية عهد جديد في مسار الخطاب الشعري النسوي الجزائري، يضم الديوان حوالي 40 قصيدة في ستين صفحة من الحجم الصغير، أشعارها غنائية ذاتية،

تتغنى بعواطف الحب وذكريات الوصال وآم البين³، وللشاعرة قصائد كثيرة في الشعر العمودي، وهي قصائد قصيرة الطول، تقول:

أين مني ذكريات في ليالينا الصعاب

يوم أقسمنا وقلنا لا نبالي لا نهاب

يا نوفمبر

يوم حطمنا القيود بوم زلزلنا الجبال

وهجمنا كالأسود في ميادين القتال

يا نوفمبر⁴

كما يمكن اعتبار الشاعرة زوليكسا سعودي أيضا من الشاعرات اللواتي خضن مجال الكتابة الشعرية، وإن كانت أعمالها قليلة كقصيدة (أغنية الجرح) و(الشكوى الضائعة) وهي قصيدة نثرية.

وقد بدأت بواكير الأعمال الشعرية النسائية بالظهور حين ظهرت الصحافة المكتوبة، خاصة الصحافة النسوية. ولعبت دورا كبيرا في تعريف القراء بالشاعرات وأعمالهن، نذكر منها مجلة (الجزائرية) التي يصدرها الاتحاد الوطني للنساء الجزائريات، وتولت إدارتها ورئاسة تحريرها زهور ونيسي طيلة 12 سنة، ثم تركتها لغيرها كربيعة مشرنن وعائشة بن الإمام، ثم توقفت المجلة عن النشر مع بداية التسعينات.

وبرزت أحلام مستغاني التي سيطرت على الساحة الشعرية النسوية خلال السبعينات، ففي المرحلة الأولى أنجزت ديوان (على مرفأ الأيام) 1972، معتمدة على شعر التفعيلة، حيث اتسم شعرها بالغنائية والواقعية⁵، أما في المرحلة الثانية (فقد تمردت الكاتبة على كل قوانين الفن، بل حتى على مسميات الأدب الاصطلاحية، ابتداء من قصيدة النثر، ومرورا بالقصيدة الدائرية، والقصيدة القصصة، إننا أمام نصوص جديدة تتجرد فيها أحلام مستغاني عن كونها شاعرة، وتكتب بأسلوب المذكرات حيناً)⁶، ويصف الناقد يوسف وغليسي الشاعرة مستغاني بقوله (كائن حبري عجيب! مثيرة للجدل وهي أشهر من حمل القلم في جزائر الاستقلال، تقول في شاعرة في جلد روائية)⁷. قصيدة (تأشيرة خروج مرفوضة):

أنا هنا

تلوكني محطة القطار

يقهقه الهجير ساخرا

ويختفي القطار

للمرة المليون

حقائبي تضبيع في الزحام

دفاتري تدوسها الأقدام⁸

وبرزت أسماء بعض الشاعرات في الساحة الأدبية ولكنهن سرعان ما اختفين، ونذكر منهن (صليحة مؤمن) في قصيدة (أصالتي)، التي يهيمن عليها الاعتزاز بالنفس، وجاءت قصائدها بنبرة حماسية وانفعال قومي، حيث تقول:

المجد مجدي والحياة حياتي والقلب مني صادق العزمات

سأعيد للتاريخ سيرته التي قد سجلتها أعظم الصفحات

وأقول للدنيا اشهدي أنني هنا لا أرتضي إلا أصالة ذاتي⁹

كذلك يمكن أن نذكر الشاعرة (مريم يونس) بقصيدتها (أين) التي نشرتها في جريدة (النصر)، والشاعرة (جميلة زنير) بقصيدتها (جنة الأطفال).

وفي أواخر السبعينيات وبداية الثمانينيات ظهرت كل من زينب الأعوج في ديوان (يا أنت من منا يكره الشمس) 1979، و (أرفض أن يدجن الأطفال) 1981، وربيعة جلطي في (تضاريس لوجه غير باري) 1981، ونادية نواصر (راهبة في ديرها الحزين) 1981، ولها أيضا (امرأة المسافات) و (أشياء الأنثى الأخرى) و (صهوات الريح) و (أوجاع) و (أنا اللاجئة في أعشاب صدري) وغيرها من الدواوين، أما الشاعرة ليلى راشدي فلها ديوان (متاهات الصمت) 1982، ونورة سعدي (جزيرة حلم) وغيرهن..، وقد ساهمت هذه الأعمال في إعادة صنع المشهد الثقافي الجزائري الحديث إلى جانب الرجل، حيث عبرت عن ذاتها والآخر برؤيا خاصة لا تبتعد عن تركيبها النفسية والبيولوجية.

ويتوالى ظهور المجلات التي كان لها دور كبير في تكوين الشخصية الأدبية لكثير من الشاعرات، حيث ظهرت مجلة (أصوات المدينة) الخاصة بالشعر النسوي، والتي ترأسها منيرة سعدي خلخال، و (دار الفضاء الحر) التي يشرف عليها الزوجان (واسيني الأعرج وزينب الأعوج)، وفيها برزت كشاعرة وناقدة، ومن دواوينها: راقصة المعبد 2002، ونوارة لهييلة، ومرتبة لقارئ بغداد 2009، بالإضافة إلى المهرجانات والملتقيات منها المهرجان الوطني للشعر النسوي بقسنطينة الذي انطلق سنة 2008.

موضوعات الشعر النسوي في الجزائر:

تنوعت المواضيع التي عالجتها المرأة الشاعرة الجزائرية لأنها تخوض مختلف التجارب الشعرية، لذلك تطرقت لمواضيع كثيرة نذكر منها:

1. الوطن: وهو الحيز المكاني الذي تتنفس فيه الشاعرة وترى فيه نفسها، لذلك يجب أن يكون الوطن مستقرا وآمنا، حيث ترى فيه (زينب الأعوج) الأمومة، فمهما تقدم بها العمر يبقى الوطن صغيرها جزءا من كبدها الذي تخاف عليه وتدللّه، وهو موطن الشهداء الذين ضحوا بأنفسهم لنعيش في استقرار، حيث تقول:

حين أحاول عشقك يا طفلي

يا وطني المسيج بالحرس الليلي

تحاصرني بوتقة الأزمنة الراحلة والمقيمة

فأحس بالاحتراق يصعد من كبدي

وأخشى الهلع والعذابات وممارسة عشقي سرا

على قبر شهيد غطته الأعشاب الوحشية¹⁰

وتجنح الشاعرة إلى التغني بفضاء المدينة، حيث تعيد صياغة الواقع شعرا، فمنيرة سعدة خلخال مثلا لا تتوانى في الاعتراف بعشقها لمدينة قسنطينة، التي سكنت وجدانها. تقول في قصيدة (سيرتا وأنا):

سيرتا

وأنت الاستفاقة الأولى

المرج المتنامي

المتخطي عتبة هذا القحط

السنونو الأول المقتحم

انضارة هذا.. القلب

ناوليني رجائي إليك

اغفلي هذا الذهاب عني

واعذري السلام المرتعش

خذييني إليك¹¹

تتعلق الشاعرة بالمكان (سيرتا) وتسكب عليه من نفسها الأنثوية، كأنما هو الفضاء الوحيد الذي يسكنها، ويسيطر عليها في كل الأوقات، فهي المعشوقة الوحيدة التي يرتعش قلبها عند ذكرها، وقد اختصرت الشاعرة حب وطنها في حب مدينتها، مسقط رأسها، ومهد صباها، حيث الذكريات الجميلة والفرح والتجدد، فالمرأة حين تتذكر مدينتها (لا يرتبط بالمكان في ذاته بقدر ما يرتبط بمشاعر البوح والحنين والعشق واليتم وغيرها)¹².

2. الأم والطفل:

أولت الشاعرة الجزائرية اهتماما كبيرا لمواضيعها وقضاياها كأمراة، حيث عبرت عن همومها وانشغالاتها تجاه نفسها والآخرين، دون أن تنسى دورها في الحياة كأم، فكان شعرها عن الأمومة والحب والطفل بارزا لأن المرأة رمز

الحنان والعطف، والعلاقة بين الطفل والمرأة هي علاقة تكاملية، حاولت الشاعرة من خلاله كشف الواقع الاجتماعي بإيجابياته وسلبياته.

كثيرات هن النساء اللواتي تحدثن عن الأمومة، منهن أحلام مستغانمي التي تقول في قصيدة (القصيدة الأخيرة):

قلت لها رجعت يا أماه
أنا التي غرّبتني الإله
أنا التي أورثتني الرمال والأشعار
رجعت يا حبيبتني
لأمسح الغبار
رفضتني
علام يا أماه؟ أنكرت وجهي الجديد باغتراب
لعنتي/أغلقت كل باب¹³

تتحدث الشاعرة في القصيدة عن أثر التغيير الذي قامت به وأصبح كاللعنة التي تطاردها، وتغلق في وجهها الأبواب، لأن والدتها ترفضه، وهو يبين الصراع بين الأم التي تريد العيش راضية قانعة بالقليل، بينما البنت التي ترفض الواقع وترنو للتغيير.

3. المرأة والمجتمع:

بما أن المرأة تعيش في المجتمع، فقد أثارت اهتمامها بعض القضايا منها قضية الالتزام بفضح الواقع، حيث أن المجتمع تحكمه أعراف اجتماعية قاسية تعتبر المرأة عارا وعورة، وتنظر إليها نظرة دونية، هذا المجتمع الذي كبل حريتها وبوحها، فقد جسده الشاعرة (الزهرة بلعاليا) حين تحكي وجعها الأبدي الذي تراه في كل النساء، وقد مثلته في حكاية شهرزاد الموجهة كل يوم مع شخصية شهريار الذي يمثل الخوف الأبدي من الخيانة والموت لضحاياه، مهما تغيرت أسماؤهم من هند وسلمى...، تقول في قصيدة (ليلة من الألف):

لست أولى من تطير في حبك
إذ تسوي لها
من شعر..جنّاح
قبلي كانت
هند سلمى
وأمانى
بعدي تأتي
زهرة أخرى أو ليلي
أنت لم تكذب
بشعر قلت فيه
أنني الأولى التي..

فأنا الأولى التي..

قبل أن يأتي الصباح

لم أمت فيك ولكن ..

نفذت روعي إلى قصر مليء

بضحايك الملاح¹⁴

لقد وجدت الشاعرة في القصيدة متنفسا للتعبير عن ذاتها المتألّمة، والرافضة لقيود الآخر الذي يسخرها لاحتياجاته اليومية، فهي تريد أن تكون مثله بلا قيود تقول (بلعاليا) في قصيدة (قصيدة):

ماذا لو أتيت يا قصيدة

وكنت أصنع الطعام / مثلما / يريد آدم

وتشتري أمتعته العنيدة

أو كنت آخذ / برفقة النساء الصالحات / القانتات

درس مكر / أو مكيدة ؟

ماذا لو أتيت يا قصيدة / ورغوة الصابون في يدي

وجيش من ثياب ظالم / عليّ أن أبيده

أو كنت حينها / أصبّ الشاي للضيوف

وأسمع / برفقة الأصحاب / ما تقول الجريدة ؟

هل كنت أهرب من زرقعة الجدران؟¹⁵

ترسم الشاعرة جزءا من حياتها اليومية كأنثى، تعمل بإكراه من إعداد الطعام، والغسيل .. ورغم ذلك تتمنى لو تتغير حياتها بهدوء ودون أضرار أو عقاب، حيث تقول (هل كنت أهرب من زرقعة الجدران؟)، والشاعرة حين تعبر عن ذاتها ومعاناتها إنما هو توغل في ذوات كل النساء وسرد معاناتهن .

إن محاولة الشاعرة الكتابة عن ذاتها وعن معاناتها فيه تحد كبير، ذلك أن المجتمع وحتى الطبقة المثقفة ترى أن العمل الشعري للرجال دون النساء ويمنع عليها دخوله، ولكن بعد استقرار الأوضاع الاجتماعية والسياسية في الجزائر، وولوج المرأة عالم الشغل بقوة تحقق للمرأة نوع من التوازن المعرفي، وتحررت من عقدة إثبات الذات، وتوجهت للمطالبة بحقوقها في التعبير عن عاطفتها تجاه الأب والابن والحبیب .

4. النزوع القومي:

لقد اهتمت المرأة الجزائرية كالرجل بالقضايا العربية راصدة التغيرات الاجتماعية والسياسية التي مرت بها البلاد العربية، والشاعرة الجزائرية لا تفرق بين وطنها وانتمائها التاريخي الأوسع، فالقومية العربية توحيدها اللغة والعقيدة والماضي والمصير المشترك.

وتعتبر القضية الفلسطينية أكثر المواضيع إثارة واهتماما من الشعراء والشاعرات الجزائريات، فنجد الشاعرة مبروكة بوساحة أول شاعرة جزائرية تحدثت عن فلسطين، ورأت أنه لا فرق بين القضية الجزائرية والفلسطينية، فهي في قلب كل جزائري، وتحدثت الشاعرة عن مواضيع فلسطينية كثيرة، كالاقرار بالحق الفلسطيني في الحرية، وتبين زينب الأعوج أسباب نكبة فلسطين، وتنبأ بمستقبل ضعيف وواهن للشعوب

العربية التي لا تحسن إلا الكلام والثروة، والسيف الذي كان رمزا للقوة والنصر، أصبح تحفة قديمة يحفظ في المتاحف، وإن لم يستيقظ العرب فسيستفحل اليهود بالمكان والزمان، تقول:

لا تسألوني عن الزمان

سادتي الجبناء

فكثرة الكلام صارت ثثرة

والفتيلة قل من يشعلها

فالسيف صار تحفة تزار

لا تسألوني فقد كرهت جبنكم

وجبن يأتي يوم الفصح

سأريكم كم هي غائرة جرائي¹⁶

. خصائص الشعر النسوي الجزائري:

1. عتبة العنوان:

يعتبر العنوان العتبة الأولى التي تلفت انتباه المتلقي، فيجعله يتحمس لقراءة الديوان، والعنوان مرسل لغوية تتصل في لحظة ميلادها بحبل سري يربطها بالنص لحظة الكتابة والقراءة معا، فيكون للنص بمثابة الرأس للجسد¹⁷

إن الملاحظ على الشعر النسوي الجزائري هو تأنيث عنوان الديوان، فكأنما هي عناوين مشفرة للقارئ تعلمه بأن الكتابة أنثى، ومن أهم الدواوين الشعرية النسائية نذكر: منيرة سعدة خلخال، فمجموعاتها الشعرية منها: (وأسماء الحب المستعارة) و (الصحراء بالباب) و (للريح قالت الشجرة)، حيث تبرز العناوين ملامح الأنوثة المهمشة والمتألمة، والمناضلة والمتحدية بدلالاتها المتنافرة.

ونذكر أيضا على سبيل المثال لا الحصر: ربيعة جلطي: (من التي في المرأة؟). زهرة بلعاليا: (ما لم أقله لك)،. نادية نواصر: (امرأة المسافات)، (راهبة في ديرها الحزين). نصيرة محدي: (غجيرة). زينب الأعوج: (راقصة المعبد)، (رباعيات نورة لهبيلة). من خلال العناوين يمكن أن نفهم أن الشاعرات الجزائريات يحكين عن معاناتهن وآلامهن في ظل مجتمع ذكوري متحكم، ونورد دلالة بعض العناوين:

. أسماء الحب المستعارة ل(منيرة سعدة خلخال):

إن الاسم المستعار ملاذ آمن للمرأة تخفي به شخصيتها الأساسية، ويجنبها التضحية بكثير من المكاسب، ولكن العنوان يشغل على مفارقة التضاد بين كلمتي (أسماء) و(مستعارة)، فالاسم يعطي الإنسان هوية فعلية، في حين أن (مستعارة) تعطي اسما غير حقيقي، وهذا التناقض في البنية التركيبية يدعم تزعم الذات الأنثوية نتيجة الإحساس بالدونية والإلغاء وتسلط الآخر.

. الجلوس عند الهاوية ل(نسيسة عطالله):

يحوي العنوان حساسية عالية وخوف من المجهول، حيث تحيل كلمة الهاوية للسقوط والتشتت وهي رؤية معينة خاصة بالمرأة بكل ما تحمله الكلمة من دلالات، لذا فإن إبداع الشاعرة مسكون بالوجع، وهي سمة بارزة الطرح النسائي و الخطاب الإبداعي الجزائري.

إن الشعر النسائي بدءاً بالعنوان هو بوح بما يختلج في النفس من هواجس وخوف، ولعل الخوف من السقوط هو واحد منها، لكن الجلوس للتأمل في هذه الهوة يمنعها من هذا السقوط، والمرأة بحكم أنها جنس مختلف عن الرجل يترتب عليها سلوكيات ومعاملات خاصة، وقد وردت كلمة (الجلوس) معرفة لأن الشاعرة تعرف ما يخيفها وتحاول أن تتفاداه، رغم أنها معرضة في كل لحظة للسقوط.

ما لم أقله لك (خناجر دافئة) ل(زهرة بلعاليا):

يعتبر عنوان الديوان ما لم أقله لك سلسلة من الاعترافات وسيطرة الكوابيس التي تلازمها مستلهممة من الذات الأنثوية، وإذ تختار الشاعرة الفعل (قال) لأنه يحمل صفة الشمولية والتعميم، فالقول لكل ما يتلفظ به الإنسان سواء أفاد معنى أم لم يفد، وبناء عليه فهو أعم من الخبر ولا يتطلب مخاطبا حاضرا، فالكلام موجه للحاضر والغائب، أما الفعل (لم أقل) فهو مخالف لما هو عليه، أي عدم النطق بأي شيء، وحينها يحمل الفعل دلالة البوح لما لم تستطع قوله مشافهة¹⁸، وتم تجسيده كتابة ف(الكتابة ليست فقط اللعبة والمتعة، ولكنها كذلك اللغة التي من خلالها تعطي المرأة لكتابتها معنى اختيار الحرية، وتحمل قهر السلطتين: السلطة الشهيادية الذكورية، التي لا ترى في المرأة سوى انعكاسات باهتة لعجزها، وسلطة دنيا زاد المنضبطة، التي ترقب بود وإخلاص وصرامة الزلل والخطأ لتنشئ حوله كيانا نقديا)¹⁹، لذلك وجدت الشاعرة في الكتابة الشعرية منفذا للتعبير في حرية.

2. قصيدة النثر:

نظم الشعراء كثيرا من القصيدة العمودية وتفننوا في أغراضها، ثم عرفت القصيدة عدة تحولات على مستوى الشكل منها البحور المجزوءة والمشطورة، كما ظهرت الموشحات والأزجال الأندلسية، لكنها حافظت على شكلها العمودي الذي يقوم على نظام الشطرين.

يعتبر الشكل العمودي للقصيدة هو الأسلوب الأمثل للتعبير عن الموروث العربي الدال على الهوية الصحراوية.

لقد نظمت الشاعرة الجزائرية قصائد كثيرة في الشكل العمودي، ولكنه يبقى أقل الأنواع استعمالا، ومن الدواوين التي هيمن عليها الشكل العمودي نذكر ديوان (عنكبوت في دمي) لفي غول، و(باب الجنة) لحنين عمر، و(همس الرمال) لخديجة باللودمو، و(شهقة السنديان) للطيفة حساني، و(مسقط قلبي) لسمية محنش، و(أناشيد الأطفال) لجميلة زنير..

تقول خالدية جاب الله في قصيدة (نخلة أورقت حزنا):

تغرَّب وجهي ولست أراني سوى موجة شرَّدتها المواني

أنادي على وجهه من حنين ترعرع في ربعا عنفواني

ويركض في الدرب حلمي ولكن ملامحه البيض لا تراني

صديقي وقد غرَّبتنا البلاد وشاخ من الحزن وجه زماني²⁰

اعتمدت القصيدة على نظام الأشر، وركزت بالأساس على الإيقاع الذي يتكون من وحدات إيقاعية مرسومة أفقيا وعموديا لتخلق انسجاما وتناسقا بين الوحدات، وتحدث جرسا موسيقيا تطرب له الأذن.

ومنهن من زاوجت بين القصيدة العمودية والحرّة، أمثال خاليدة جاب الله، ونسيمة بوصلاح ووسيلة بوسيس، ومبروكة بوساحة، وعقيلة مصدق..

وتبرز الشاعرة أحلام مستغانمي في شعر التفعيلة من خلال ديوانها (على مرفأ الأيام)، وكذلك مبروكة بوساحة في ديوانها (عصارة العمر)، وفي كثير من شعر نورة سعدي خاصة في ديوانها (جزيرة الحلم)، ونادية نواصر التي تقول في قصيدة (شظايا الذاكرة، والمساء المهتد بالصحو):

تدخلني أنت

مزهوا بضوء اللحظات

مضاء بفرح العمر

تتوغلني..تشكل مني صخب الوقت

عشق المدى الممتد في امتداداته

تصحبني أيها الزمن

أصحبك..²¹

لم تلتزم الشاعرة بنظام تفعيلات معين، وإنما كانت الدفقة الشعورية هي المتحكمة في عدد التفعيلات، ومع كل تفعيلة جديدة ينتج إيقاع جديد، والشاعرة في الأسطر أقامت علاقة مع الوقت، وعاشت معه لحظات فرحة، وسمحت له بدخول عالمها ليضيئه فمنحها حرية التعبير، وكسرت معه كل قيود الرتابة المفروضة عليها. رغم اختلاف توزيع التفعيلات في الأسطر إلا أنها احتفظت بالوزن، فالسطر الشعري سواء طال أو قصر مازال خاضعا للتنسيق الجزئي للحركات والسكنات المتمثل في التفعيلة، أما عدد التفعيلات في كل سطر فغير محدد وغير خاضع لنظام ثابت.²²

وعمدت بعض الشاعرات إلى إخراج القصيدة من دائرة العبارة الموجزة المكثفة إلى النص بصورته الكاملة، فوظفن (الحكاية توظيفاً شعرياً ألف بين الإيقاع الحر والسياق الحكائي المشعرن)²³، من ذلك قصيدة (سيد العنفوان الأسر) لأحلام مستغانمي، حيث تقول:

أذكر في صبا الأمنيات

تمنيتك

ورفيقتي اشتهين ضحكك تلك

وتزوجك سرا

وأنجب منك أولادا لم ترهم

لهم عيناك

وجينات غضبك

وشعاراتك.. وقضايك

وذاك العنفوان الأسر²⁴

تحكي القصيدة قصة امرأة عشقت أسرها هي وصديقاتها، وحملن منه أفكاره وقضايه التحررية، والقصيدة بعيدة عن الضوابط الإيقاعية الخليلية، فهو نوع من التمرد الشعري في الشعر الجديد، حيث استبد الشكل

النثري بأعمال الشاعرات الجزائريات، فميولهن للنثر أكثر من ميولهن للنظم الخليلي، ودليل ذلك أن أغلب الكاتبات الجزائريات يبدأن بالشعر ثم يغيرنه للفنون النثرية كالقصة والرواية، يقول عبد الله الغدامي (حيث نرى قصيدة التفعيلة، بوصفها علامة على الأنثوية الشعرية تغطي على وجه ديوان العرب الجديد)²⁵.

3. النفس الشعري القصير:

إن الملاحظ في الشعر النسوي الجزائري المعاصر قصر النفس الشعري، حيث نجد أن القصيدة القصيرة هي (مضمار الأنوثة الشاعرة، ومجرى أنفاسها الشعرية المتقطعة، كأن الشاعرات يأبين أو لا يستطعن سبيلا إلى تقصيد القصائد، لأن نزواتهن الشعورية توشك أن تنفلت .. ومن ثم يحدث الاقتضاب في التجربة، والاحتقان في التعبير والاقتصار على الحالة، والاقتصاد في اللغة ...) ²⁶.

يمكن أن نلاحظ قصر النفس في الشكليات العمودي وشعر التفعيلة، ويظهر في شعر حليلة قطاي خاصة في ديوانها (حين تنزلق المعارج .. إلى فيها) حيث كان نصها ممعنا في القصر، لا تعتمد على الجمل الطويلة بكثرة، تقول: وعن كذب..

تقتني حاجات عمرٍ
!يكتسيه الجوع.. والعنف الغضب

**

الجوع .. أعمى .. والغضب..

وحالكُ مثل الضباب..

ومنعش، إن تعترم

سفرا بعيدا

لا وصب فيه، ولا نصب..

²⁷!!كلا، اقترب

حالة الألم والانزواء التي تعيشها الشاعرة كبيرة، أحدثت لها حالة من الغضب وسرعة في خفقان القلب، مما جعل جملها تأتي قصيرة مرتبطة بالحالة الشعورية، لكنها مكثفة ومختزلة.

بينما عمدت شاعرات أخريات لتقسيم النفس الشعري الواحد إلى جرعات صغيرة متباعدة، حيث يقمن بتجزئة القصيدة إلى مقاطع قائمة على استقلال دلالي نسبي، كما هو في قصيدة (أربعون وسيلة وغاية واحدة) للشاعرة وسيلة بوسيس، حيث قطعنها إلى أربعين مقطعا، وهو كم ينسجم مع دلالة العنوان فكل الطرق (40) تؤدي إلى غاية دلالية واحدة، كما اعتمدت نفس الطريقة منيرة سعدة خلخال خاصة في قصيدة (غبار الرائحة)، حيث تنثر عطر الزهرة (زهيرة). الأنثى الضحية في زمن الفتنة السياسية. وتنفته في غبار الوطن، على ساحات مأساوية مختلفة.

أما التمثيل الأفقي للنفس الشعري القصير، فهو قليل في الشعر النسوي الجزائري، ويظهر في ديوان (راقصة المعبد) لزينة الأعوج، التي تعتمد فيه على كلمة واحدة أو كلمتين في السطر، ويظهر في قصيدة (غواية) و (ديكور)، كما تعتمد هذا النظام كل من وسيلة بوسيس، وزهرة بلعاليا في ديوان (ما لم أقله لك)، ولكن هذا النمط من الكتابة يكون قصير النفس مبتور الأوصال، غير منتهي المعنى، تقول زهرة بلعاليا في قصيدة (انتظار):

كلما أبصرت سحبا
 في خيالي شدني
 شوق خفي.. للمطر
 فإذا الأتهار تحيا
 من جديد
 تعزف لحنا في
 قلب الحجر
 وإذا بالعمر
 فلاح صغير
 يبذر الأحلام
 في قلب.. حذر²⁸

تتساءل الشاعرة عن مصيرها ويحدوها الأمل والفرح، ولكنه فرح حذر كحذر الفلاح، واعتمدت الشاعرة على الجمل القصيرة التي يحتاج قارئها إلى كثير من التأمل لفهمها، فهي ترى أن اللغة هي الشعر، وأن الشعر أجمله ما لم يذكر، فهو يشوق القارئ ويفتح النص على قراءات متعددة.

4. الرمز للمؤنث:

اعتمدت الشاعرة الجزائرية على كثير من الرموز التاريخية، حيث اختارتها بعناية فائقة، ووظفتها حسب المعطى الشعري المراد تبليغه، لتمنح تجربتها الشعرية نوعا من الأصالة عن طريق ربطها بالتجربة الإنسانية من جهة، وتعطيها قيمة جمالية ودلالات جديدة من ناحية أخرى، ومن هذه الرموز نذكر:

شهرزاد وكسر السلطة الذكورية:

شهرزاد هي رمز للمرأة التي استطاعت بذكائها أن تقف أمام جبروت الرجل، وغامرت بنفسها من أجل استمرارية الحياة.

إن شهرزاد هي رمز تطويع المرأة للرجل، بينما شهريار هو رمز الرجل الذي عانى من غدر المرأة، لذلك ينتقم بطريقته الخاصة، بأن يتزوج كل ليلة بامرأة ثم يقتلها، تقول الشاعرة منيرة سعدة خلخال في قصيدة (العين الحافية):

(وحدك/ تردددين في الكسور المنيرة/ منك تتألفين/ وبك تسوقين الأرض إليه/ فتدَارِكُ شهرزاد لياليها تهيم في عين الثبات)²⁹.

تتجلى أسطورة شهرزاد في الأبيات بصورة واضحة، وترمز للمرأة الأنثى التي تكره أن تكون مكبل بالقيود، وتعشق الحرية والانعقاد، وينعكس ذلك على الذات الشاعرة التي تبغي التحرر الفردي من خلال كتاباتها، والتخلص من أنوثتها فهي مصدر ضعفها وسلبيتها، كما تبغي التحرر المجتمعي من سلطة العادات والتقاليد التي رسّخها الرجل (شهريار).

ووظفت أيضا أحلام مستغانمي حكاية شهرزاد المأخوذة من حكايات ألف ليلة وليلة، حيث تقول في قصيدة (حفل على شرف النسيان):

تعال لذلك الحفل يا سيدي

تنكر فيمن شئت من الأبطال

لن تتعرف عليك امرأة غيري

كن شهريار... سأكون شهريار³⁰

تخبرنا الشاعرة أن شهريار هي التي تستدعي شهريار، وهذا دليل على أنها الوحيدة التي تستطيع فك رموزه مهما تبدلت وغيّرت، فمهما كان هو متحكماً كانت هي (شهريار) المتحكم في تفكيره ووجوده.

5. الخنساء الوجلج الأثوي:

يشكل موضوع الوجع جانباً مهماً في الكتابة الشعرية النسائية، وسيطر على اللاوعي الفردي، لكنه يكشف من خلال اللغة ف(لأن كان الترادف بين القلم والوجع ترادفاً قديماً، فإن بين الكتابة والاكتئاب -أيضاً - علاقة تبدأ من التشابه في الجدار اللغوي، وتمتد إلى الترابط شبه العضوي بين كافة أفعال الكتابة وتجلياتها، وبين الاكتئاب النفسي للذات الكاتبة)³¹.

إذا كانت الخنساء تتوجع لفقدان أخويها في العصر الجاهلي فإن منيرة سعد خلخال تعيش حالة الوجع الأزلي، تقول في قصيدة (وتأكد الوجع):

(لم تعد للقلب نكته/ وقافلة المواجه لا حاذي لها/ وما نحن مرفآن/ للصمت وللحزن.. / وبحرنا ميت جداً.. / ولكنني نسيت / نسيت أني حمامة عشش الدمع بساحاتها / خنساء كل العصور / وصخرها لم يكن غير صخر / لم ينحت قساوته / نبض ولا سهر..)³².

تبوح الشاعرة بالأمها التي تعيشها في صمت عبر الرمز التاريخي الخنساء، حيث جعلت من ذاتها رمزاً للوجع الأنثوي.

كما اعتمدت الشاعرة الجزائرية على رموز أخرى منها: جميلة بوحيرد وهي رمز للصمود والتحدي، ورابعة العدوية رمزاً للمرأة المناضلة ضد شهوات نفسها، وضد المادية الفانية.

الإحالات:

¹ باديس فوغالي: التجربة القصصية النسائية في الجزائر، إتحاد الكتاب الجزائريين، ط1، 2002، ص:9 وما بعدها

² ناصر مغماش: الشعر النسوي العربي في الجزائر. في بنية الخطاب -، آذار للطباعة والنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، د ط، 2001، ص: 13

³ يوسف وغليسي: خطاب التأنيث دراسة في الشعر النسوي الجزائري، ومعجم أعلامه، جسور للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ط1، 2013، ص:86

⁴ زهور ونيسي: براعم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1969، ص:21

⁵ أحمد دوغان: الصوت النسائي في الأدب الجزائري المعاصر، سلسلة أدبية تصدرها مجلة (آمال)، وزارة الثقافة، الجزائر، ص: 121

⁶ المرجع نفسه، ص: 126

⁷ يوسف وغليسي: خطاب التأنيث دراسة في الشعر النسوي الجزائري، ص: 122

⁸ أحلام مستغانمي/ على مرفأ الأيام، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص: 61

⁹ يوسف وغليسي: خطاب التأنيث دراسة في الشعر النسوي الجزائري ومعجم أعلامه، ص: 83

¹⁰ عبد الله الركبي: الشعر في زمن الحرية، دراسات أدبية ونقدية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص: 72

¹¹ منيرة سعد الخلخال: أسماء الحب المستعارة (شعر)، منشورات أصوات المدينة، قسنطينة، ط1، 2004، ص: 77، 78

- ¹² أمنة بلعلي: خطاب الأنساق الشعر العربي في مطلع الألفية الثالثة، ص: 226
- ¹³ أحلام مستغانمي، على مرفأ الأيام، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1972، ص: 77
- ¹⁴ زهرة بلعالي: ما لم أقله لك، منشورات أرتيستيك، الجزائر، ط1، 2007، ص: 76
- ¹⁵ زهرة بلعالي: تراويح مخطوطات، 1999، ص: 48
- ¹⁶ زينب الأعوج: يا أنت من منا يكره الشمس، منشورات إتحاد الكتاب العرب، 1979، ص: 79
- ¹⁷ وسيلة بوسيس: بين المنظور والمنثور في شعرية الرواية -دراسة- منشورات إتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ط1، 2009، ص: 75، 76
- ¹⁸ ينظر رزيقة بوشلقية: التشكيل الفني في الشعر النسائي الجزائري المعاصر، دراسة، ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2015، ص: 82
- ¹⁹ واسيني الأعرج: الأدب النسائي (ارتباكات المصطلح وأشواق العنف المبطن)، مجلة روافد، عدد خاص بالمرأة والإبداع، ع1، منشورات مارينو، الجزائر، 1999، ص: 13
- ²⁰ خالدية جاب الله: للحزن ملائكة تحرسه: منشورات أهل القلم، ط1، د، 2009، ص: 41
- ²¹ نادية نواصر: صهوات الريح، منشورات المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، ط1، 2005، ص: 81
- ²² عز الدين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، دار العودة بيروت، ط4، 1981، ص: 71
- ²³ عبد الله الغدامي: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005، ص: 48
- ²⁴ نقلا عن يوسف وغليسي: خطاب التأنيث، ص: 161
- ²⁵ عبد الله الغدامي: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف، ص: 24، 25
- ²⁶ يوسف وغليسي: خطاب التأنيث، ص: 101
- ²⁷ حليلة قطاي: حين تنزلق المعارج.. إلى فيها (شعر)، موقف للنشر، الجزائر، 2015، ص: 30
- ²⁸ زهرة بلعالي: ما لم أقله لك، ص: 80، 81
- ²⁹ منيرة سعدة خلخال: الصحراء بالباب، منشورات أصوات المدينة، قسنطينة، ط1، 2004، ص: 30، 31
- ³⁰ أحلام مستغانمي: أكاذيب سمكة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1993، ص: 65
- ³¹ عبد الله الغدامي: المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1997، ص: 134
- ³² منيرة سعدة خلخال: أسماء الحب المستعارة، منشورات أصوات المدينة، ط1، 2004، ص: 41
- قائمة المصادر والمراجع:

1. أحلام مستغانمي: على مرفأ الأيام، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972
2. أحلام مستغانمي: أكاذيب سمكة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1993
3. أحمد دوغان: الصوت النسائي في الأدب الجزائري المعاصر، سلسلة أدبية تصدرها مجلة (آمال)، وزارة الثقافة، الجزائر
4. أمنة بلعلي: خطاب الأنساق الشعر العربي في مطلع الألفية الثالثة، الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2014
5. باديس فوغالي: التجربة القصصية النسائية في الجزائر، إتحاد الكتاب الجزائريين، ط1، 2002
6. حسن مخافي: القصيدة والرؤيا، دراسة في التنظير الشعري، منشورات إتحاد كتاب المغرب، الرباط، ط1، 2003
7. حليلة قطاي: حين تنزلق المعارج.. إلى فيها (شعر)، موقف للنشر، الجزائر، 2015
8. حنين عمر: باب الجنة، (وجهك الذي لمحت من شباك الجحيم)، هيئة أبو ضبي للثقافة والتراث (أكاديمية الشعر)، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2010
9. خالدية جاب الله: للحزن ملائكة تحرسه: منشورات أهل القلم، ط1، د، 2009
10. رزيقة بوشلقية: التشكيل الفني في الشعر النسائي الجزائري المعاصر، دراسة، ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2015
11. زهرة بلعالي: تراويح مخطوطات، 1999
12. زهرة بلعالي: ما لم أقله لك، منشورات أرتيستيك، الجزائر، ط1، 2007
13. زهور ونيسي: براعم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1969

14. زينب الأعوج: يا أنت من منا يكره الشمس، منشورات إتحاد الكتاب العرب، 1979
15. عبد الله الركيبي: الشعر في زمن الحرية، دراسات أدبية ونقدية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994
16. عبد الله الغدامي: المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1997
17. عبد الله الغدامي: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005
18. عدالة عساسلة: يوم إضافي للقيامة، إتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ط1، 2009
19. عز الدين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، دار العودة بيروت، ط4، 1981
20. منيرة سعدة الخلال: أسماء الحب المستعارة (شعر)، منشورات أصوات المدينة، قسنطينة، ط1، 2004
21. منيرة سعدة خلال: الصحراء بالباب، منشورات أصوات المدينة، قسنطينة، ط1، 2004
22. نادية نواصر: صهوات الريح، منشورات المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، ط1، 2005
23. ناصر مغماش: الشعر النسوي العربي في الجزائر. في بنية الخطاب-، آذار للطباعة والنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، د ط، 2001
24. ناصر مغماش: النص الشعري النسوي العربي في الجزائر، دراسة في بنية الخطاب، دار آذار للطباعة والنشر، العلمة، الجزائر، د ت
25. واسيني الأعرج: الأدب النسائي (ارتباكات المصطلح وأشواق العنف المبطن)، مجلة روافد، عدد خاص بالمرأة والإبداع، ع1، منشورات مارينو، الجزائر، 1999
26. وسيلة بوسيس: بين المنظور والمنثور في شعرية الرواية -دراسة- منشورات إتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ط1، 2009
27. يوسف وغليسي: خطاب التأنيث دراسة في الشعر النسوي الجزائري، ومعجم أعلامه، جسور للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ط1، 2013